﴿ امالى دينية — الدرس ١٧ فى العقائد ﴾

(كلام الله تعالى)

م (٥٠) كل قضايا الدين تعرف من الوحي الاّ الايمان بالواجب الذى يسند اليه كل موجود من الممكنات ويكون هذا الواجب ليس من جنس الممكنات ولا يشابهها فى صفاتها وبأن ما يصدر عن قدرته الكاملة منها يصدر بارادة واختيار عن علم وحكمة . ثم ان الوحي الذى به علم الانبياء عليهم الصلاة والسلام كيف يرشدون الناس سماه الله تعالى كلاما واضافه اليه بمثل قوله « وان أحد من المشركين استجارك فأجِرْهُ حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه » . والعقل يشهد أن رجلاً أمياً تربّى يتيماً فى امة جاهلية ليس فيها علم ولا حكمة ولا سياسية حتى بلغ اربعين سنة لم يصدر عنه فيها شيء يؤثر من علوم الاجتماع والشرائع والاخلاق والسياسة المدنية والحربية وغير ذلك لا يمكن فى العادة ان تصدر عنه هذه المعارف والعلوم بعد ذلك فضلا عن القيام بها تعليماً وعملاً على وجه يكون له اعظم اثر فى العالم بل المعهود فى البشر ان الذين يتعلمون الفنون السياسية والاجتماعية فى المدارس لا يحسنون سياسة البشر عملاً اذا لم يتمرّنوا عليها بالتدريج ولذلك يرشحون الذين يتصدون لسياسة الامم بالتعليم اولا ثم بتطبيق العلم على العمل بالوظائف الصغيرة كمأمور ومدير ثم بما فوقها حتى يتهون الى

الوزارة والامارة . ونتيجة هذا ان ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من التعاليم ليس من عند نفسه وانما هو مفاض عليه وموحى اليه من العليم الحكيم فهو كلام الله تعالى لا كلامه لانه لم يعهد منه مثله لا فى أسلوبه وبلاغته . ولا فى منزاه وحكمته . وقد اشير الى هذا المعنى بقوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون » وقوله عزّ وجل : « قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون »

م (٥٦) هذا ما يجب اعتقاده على كل مؤمن وهو الحق الابلج الواضح المنهج . وهو ما كان عليه اهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم حتى حدثت البدع والفتن التى كان من اضرها الكلام فى القرآن ومعنى كونه كلام الله تعالى والبحث فى انه مخلوق او غير مخلوق . فتنة اقتحمها المعتزلة[1] وابتلي بها أئمة العلم وتلاعبت اهواء بعض الخلفاء من بنى العباس ثم محيت طائفة المعتزلة من لوح الوجود ولم تمح اقاويلهم من الواح الكتب فكل من كتب فى العقائد يذكرها للرد عليها وتطرف قوم فى الرد حتى قالوا بقدم المحسوسات . من الحروف والاصوات . توسعوا فى هذه المباحث واطالوا القول فيها حتى قيل ان هذا العلم انما سمي (علم الكلام) لان اهم مسائله كلام الله تعالى

سلك المعتزلة فى جدلهم مسلك الفلسفة فى حقائق الاصوات والحروف ومفهوماتها فقابلهم المتكلمون بفلسفة كفلسفتهم وقرروا مسئلة الكلام على النحو الذى انحوه فى صفة العلم والسمع والبصر فقالوا ان الكلام فى اللغة

(١) اقتحم الكلام ابتدعه من عند نفسه ولم يتابعه احد عليه

يطلق على قوة في النفس عنها يصدر الكلام اللفظي واختلفوا في اي الكلامين — النفسي واللفظي — هو الحقيقة وايهما المجاز . واستدلوا على الكلام النفسي بمثل قول الناس « حدثتني نفسي بكيت وكيت وقلت في نفسي كيت وكيت » ومنه قول سيدنا عمر رضي الله عنه « زورت في نفسي كلاماً » وقول الاخطل :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقالوا بناء على قاعدتهم في قياس الغائب على الشاهد والقديم على الحادث التي سبق تقريرها في الكلام على العلم الالهي : ان لله كلاماً نفسياً هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تتعلق بكل ما علمه تعالى تعلق دلالة وانكشاف وكلاماً لفظياً كالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وان هذا يسمى كلاماً لله بمعنى انه يدل على الكلام النفسي او على بعض ما يدل عليه الكلام النفسي وانه ليس لغير الله فيه صنع الى آخر ما اطالوا به مما لم يكلفنا الله تعالى به . وقد ناقش فيه بعضهم بعضاً . كقول بعضهم ان بيت الاخطل لا يصح الاحتجاج به في موضوع ديني لانه كان نصرانياً ويدخل في نظمه المعاني والافكار التي اخذها من تعاليم دينه وقول آخرين ان البيت ليس له وان الرواية الصحيحة فيه : « ان البيان لفي الفؤاد » وكبحث بعضهم في حديث النفس وتسميته كلاماً بان تزوير الكلام في النفس (تهيئته وتدبيره) هو عبارة عن تصوره واذا عبر الانسان عن تصور شيء يسميه باسمه لان ما في النفس هو صورة ما في الخارج فالحديث النفسي هو صورة الحديث اللفظي المسموع بالآذان عند ما يؤديه اللسان .

وسواء صح هذا القول أو صح مقابله فلا ريب ان القرآن كلام الله

تعالى وقد مر فى المسئلة السابقة دليله ومن البدعة - لا من السنة — ان نزيد على ذلك بقياساتنا وفلسفتنا وقد أراحنا الله من فتن القائلين من المعتزلة وغيرهم فلانريد شبههم وأوهامهم وحسبنا ما كان عليه الصحابة واكابر التابعين والمجتهدين . رضى الله عنهم اجمعين

م (٥٢) اقوال الائمة فى الكلام — نقل عن الائمة الاربعة المجتهدين واهل الحديث من السلف الصالحين . رضوان الله عليهم اجمعين . القول بتحريم الخوض فى « الكلام » . قال يونس ابن عبد الاعلى سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول يوماً وقد ناظر حفصاً الفرد وكان من متكلمى المعتزلة : لأن يلقى الله تعالى العبد بكل خطيئة ما خلا الشرك خير له من ان يلقاه بشىء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاماً ما اقدر ان احكيه . وحكى حسين الكرابيسى ان الشافعي سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال : سل عنه هذا — يعنى حفصاً الفرد — واصحابه اخزاهم الله . وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول : لو علم الناس ما فى الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد . وقال ابن كثير كان محمد بن اسماعيل الكرابيسى يقول قال الشافعي : كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد وما سواه فهو الهذيان . واخرج ابن عبد البر فى كتاب العلم عن يونس ابن عبد الاعلى انه قال سمعت الشافعى يقول : اذا سمعتم الرجل يقول الاسم غير المسمى او الاسم المسمى فاشهدوا عليه انه من اهل الكلام ولا دين له . وقال ابو على الحسن الزعفرانى قال الشافعي : حكمي فى اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ فى الكلام . وفى رواية حكمى فى اهل الكلام

لحكم عمر في صبيغ (تقدمت قصته في مجلد السنة الاولى من المنار)

وقال الامام مالك رحمه الله تعالى فيما اخرجه اللالكائي في السنة عن مصعب: الكلام في الدين كله اكرهه ولم يزل اهل بلدنا — يعني المدينة المنورة — ينهون عن الكلام في الدين ولا احب الكلام الا فيما تحته عمل واما الكلام في الله فالسكوت عنه. واخرج ايضاً من رواية الحسن بن علي الحلواني قال سمعت اسحق بن عيسى يقول قال مالك بن انس: أكلما جاءنا رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله. واخرج ايضاً من رواية محمد بن حاتم بن بزيع قال سمعت ابن الطباع يقول جاء رجل الى مالك بن انس فسأله عن مسألة فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فقال أرأيت لو كان كذا قال مالك: «فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم»

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى: لا يفلح صاحب الكلام ابداً ولا تكاد احداً نظر في الكلام الا وفي قلبه غل. وصنف الحرث المحاسبي استاذ الشيخ ابي القاسم الجنيد رحمهما الله تعالى كتاباً في الرد على المبتدعة ذكر فيه شيئاً من الكلام يرد فيه على المعتزلة فهجره الامام احمد على زهده وورعه. قال ابو القاسم النصرباذي بلغني ان الامام احمد هجره بهذا السبب ولما انكر عليه تلك المقالات واجابه الحرث بانه انما ينصر السنة ويرد البدعة قال احمد: ويحك ألست تحكي بدعتهم اولاً ثم ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدع فيدعوهم ذلك الى الرأي والبحث. وقال: علماء الكلام زنادقة

وقال ابو يوسف صاحب الامام ابي حنيفة رحمهما الله تعالى فيما اخرجه

اللالكائى فى السنة والذهبي فى التاريخ والخطيب فى شرف اصحاب الحديث: من طلب المال بالكيمياء أفلس ومن طلب الدين بالكلام تزندق . وفى رواية بشر بن الوليد زيادة : من تتبع غريب الحديث كذب . وكلام السلف فى هذا كثير . والجمع بينه وبين مسلك علماء الخلف الذين اوغلوا فى صناعة الكلام والجدل ان هذا يطلب لضرورة اقناع الخصوم وردّ شبه المنكرين والضرورة تقدر بقدرها وتختلف باختلاف الزمان وانواع الشبهات فمن العبث المذموم ان تعاد شبه المعتزلة والفلاسفة الاولين فى دروس الكلام وكتبه وتعد من الفروض اللازمة وتترك شبه الفلاسفة المعاصرين وغيرهم من اعداء الدين تتلاعب بالعقول فلا يقدر الذين يتعلمون على طريقة الازهر ردها ولا فهمها بل يكتفون بتكفير من يسأل عنها وفقهم الله للعلم النافع لتحيا بهم هذه الامة

الباب الثاني في التربية والتعليم

﴿ الباب الثانى (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(٢٦) من اراسم الى هيلانه فى ٣٠ يوليو سنة — ١٨٥

أنا ايتها العزيزة هيلانه اعرف فرط حبك لى وجميل انعطافك نحوي وأقدرها حق قدرها ولكنى لست مسلك فيما يخامر قلبك من المخاوف فى شأن مستقبل « اميل » فانى وان كنت والده لا ارى لى حقاً بحال من الاحوال فى ايجاب ان يكون تلميذاً لى فمن ذا الذى يصح ان يتبجح بأنه قد وصل الى الحق المطلق وان حسنت منه النية فى البحث عنه واعتقد انه